العالم النسائي

نظرة فى الحركة النسائية المصرية

للآنسة أسماء فهمى
درجة شرف فى الآداب

بدأت النهضة النسائية فى أوائل هذا القرن ، الا أنها لم تصبح « حركة » الا عند نشوب الثورة المصرية سنة ١٩١٩ اذ نشطت المرأة نشاطا كبيراً وسرت اليها روح الحماس الفياض فلبت نداء الوطن ، وساهمت بنصيب وافر فى الحركة السياسية ، فاشتركت فى المظاهرات معرضة حياتها لما كان يتعرض له الرجل من مخاطر ، وألفت اللجان لبث الدعوة الوطنية وتنظيم حركة المقاطعة ، وظهرت فى الاجتماعات العامة . ولكم كانت لها مواقف مشهودة فى تلك النهضة المباركة !

ولما هبطت درجة الحماس القومى بسبب الانشقاق بين صفوف العاملين أخذت الحركة النسائية تتجه اتجاها جديداً فاهتمت العاملات بتحسين مركز المرأة الاجتماعى ، وعلى ذلك تألف الاتحاد النسائى سنة ١٩٢٣ تحت زعامة السيدة الجليلة هدى هانم شعراوى ، ووجه عناية كبيرة الى المشاكل الاجتماعية التى تمس المرأة كمسألة الطلاق وتعدد الزوجات وعدم تحديد سن الزواج للفتيات ، ونجح فى حمل البرلمان على الاهتمام بتلك المسائل . كذلك ظهر فى ذلك الوقت من بين النساء من تطالب باشراك المرأة فى التمثيل النيابى .

على أن تلك البداية الحسنة سرعان ما تعرضت للضعف بدورها وانكمشت فى دائرة محدودة لا تتناسب مع مطامع المرأة بدل أن تنمو وتتسع ويصبح لها فروع تهتم بمعالجة نواحى النقص كلها ، فلم نعد نسمع تلك الاصوات الجريئة الفتية التى تدافع عن قضية المرأة ، كما أفلس معظم الجمعيات النسائية التى كان ازدهارها قصير المدى ، وهكذا خلا الميدان مرة اخرى ولم يبق الا عدد قليل من المجاهدات يثابرن شأن الابطال متجاهلات المتاعب والنقد .

ولكن ذلك السكون فى ميدان النهضة لم يكن الا كسكون الطبيعة فى الشتاء الذى فيه تتجدد القوى برغم التجرد والعراء ؛ فقد دخلت الحركة النسائية على رغم ذلك السكون الظاهر فى طور خطير هو طور الانتقال الهام الذى فيه اتسع نطاق تعليم المرأة فانتشرت مدارس البنات ووحدت مناهج تعليم الذكور والاناث بعد اصلاحها وتوسيعها ، فأصبحت الفتاة التى كان تعليمها قاصرا على مبادىء القراءة والكتابة وقشور اللغات وبعض الفنون المنزلية تتعلم كما يتعلم الفتى ، بل وتفوقه فى الاقبال على العلم واستساغته . وفى سنة ١٩٢٨ سمح للبنات الحاصلات على شهادة اتمام الدراسة الثانوية بدخول الجامعة المصرية . بينما كثرت ارساليات البنات فى تلك الفترة الى الخارج للتخصص فى مختلف العلوم والفنون . ومازالت حركة تعليم البنات سائرة بنشاط رغم سوء الحالة الاقتصادية وما يوضع فى طريقها من عقبات ، وهذا لاشك أعظم انتصار اكتسبته المرأة ، واقوى سلاح فى يدها ؛ ولم يبق الا ان تستغله الى أبعد مدى ممكن .

والآن وقد تكاثر عدد المتعلمات وظهر من بينهن من يمتزن برغبتهن الحارة فى الاصلاح ، فستنتعش ولا شك الحركة النسائية . وان احتفاء زعيمة الاتحاد النسائى بأولى خريجات الجامعة المصرية والجامعات الاخرى فى ١٦ ديسمبر سنة ١٩٣٣ لمبشر بقرب الوصول الى هذه الغاية ، اذ لايفيد الحركة النسائية أكثر من جمع تلك العناصر النشطة مبدئيا تحت سقف واحد واحداث التعارف بينهن وتشجيعهن وتذكيرهن بحقوقهن وواجباتهن نحو المجتمع ، وبنات جنسهن . وبالجملة أصبح لدى الحركة النسائية أهم العناصر الاساسية اللازمة للنجاح ، وهى الشعور بالنقص ، والرغبة فى الاصلاح ، وعدد لابأس به من السيدات الناهضات ؛ كما ان لديها أيضا مؤازرة عدد كبير من افاضل الرجال .

على ان مجرد وجود تلك العناصر لايكفى لاحداث الاثر

المطلوب بل لابد من اتحاد تلك العناصر واستغلال جهود الناهضات بان تصبح لهن جماعات منظمة ، فالحركات القوية الناضجة ذات الاثر الخالد والمشروعات العظيمة قامت بواسطة الجماعات والتعاون . لا بمجهود الافراد . والحركة النسائية فى حالتها الراهنة الخاملة احوج ماتكون الى مثل تلك الجماعات المنظمة التى تدرس وجوه النقص فى مركز المرأة ، وتبسط فيها الآمال والآراء ، وتكون نواة لظهور الحقليات والباحثات اللاتى يوجهن أذهان الناشئات الى مكانتهن الهامة فى الحياة ، والى اهمية عهد الانتقال الذى يجتازونه . والا أصبح تطور المرأة تطورا غير واع شبيه بتطور النبات والحيوان . يسير بمحرك التقليد لا بناء عن التفكير والانتخاب والتفضيل . والواقع اصبح يخشى طغيان عامل التقليد على الحركة النسائية بسبب قلة المرشدات والباحثات . فكثير من النساء اللاتى سافرن مثلا واختلطن بالرجال فعلن ذلك تحت مؤثرات (الموضة) وتقليد الغربيات لا بمقتضى مبادىء ثابتة ولا بناء عن تدبر وتفكير . والنهضة ان لم تبن على مبادىء متينة ويكن لها مثل أعلى يوجهها فى اتجاه خاص فلا امل فى بقائها ؛ لانها تصبح عرضة للتقلبات والاهواء كسحابة الصيف .

ثم أنه لا يمكن لغير تلك الجماعات المنظمة القوية القيام باعباء قضية المرأة والدفاع عن حقوقها أمام التقاليد الجائرة ؛ فالمرأة فى مصر مازالت محرومة من حقوقها السياسية . تلك الحقوق التى تمتعت بها المرأة المصرية فى أقدم العصور ، وتستمتع بها المرأة فى كثير من الأمم الراقية لخير المجتمع . ثم هناك التشريع الذى لم يتطور مع روح العصر ، والذى يعطى الرجل امتيازات يستعملها بمثابة سلاح يشهره فى وجه المرأة كلما هزته شهواته ونزعاته ، وهناك أيضا القيود التى تعل تقدمها العلمى ، فلم تفتح امامها بعد جميع انواع التعليم والدراسات . هذا الحق الذى سلم به شيخ الفلاسفة سقراط الذى تعد تعاليمه لب النهى والحكمة . والذى تأخذ عنه وعن تلاميذه كثيرا من مبادىء السياسة والاجتماع والاخلاق .

كل هذه الأشياء التى تعدها المرأة حقا طبيعيا لها والتى لم تحصل عليها بعد ، تبين بجلاء مبلغ خطورة القضية ومبلغ الحاجة الى توحيد الصفوف وانهاض جميع الهمم ؛ فالمرأة فى الواقع لم تقطع الا جزءاً يسيرا من مرحلة شاقة طويلة ، فالأمل معلق على تكوين تلك الجماعات القوية التى بيدها مستقبل المرأة ؟

(بقيـــة المشور على صفحه ٢٩)

وسأحاول بوجه الاجمال أن اعطيكم فكرة عن هذه الصعاب :

ذكرت لكم منذ هنيهة أن اللغة آلة وأداة . أو بالأحرى هى مجموعة ادوات وعمليات صاغها العمل وسخرها لخدمته . فهى وسيلة جافية غليظة لا محالة ؛ يستخدمها كل شخص ، ويوفق الحاجاته الراهنة ، ويمسخها بحسب الظروف ، وبطابق تفصيلها على كيانه الجسمانى وتاريخه النفسانى .

وأنتم تعرفون ما تسلطه على اللغة أحيانا من التجاريب والمحن . فان المدلولات ومعانى الكلمات وقواعد تأليف ومخارجها وتقييدها هى الدعيب لها وآلات تعذيب معا . ولا مشاحة أنا نراعى بشىء من الاعتبار مايقرره المجمع اللغوى . ولا مشاحة أن رجال التعليم وفسق الامتحانات وعلى الأخص غرور الناس يقيم بعض الحواجز دون تصرف كل فرد فى اللغة على هواه . فضلا عن أن الطباعة فى العصور الأخيرة كانت عاملا قويا للمحافظة على أوضاع الكتابة . ومن ثم أبطأت الى حد ما تعديلات الافراد . إلا أن أهم مزايا اللغة عند الشاعر هى كما لايخفى خواصها أو طاقتها الموسيقية من ناحية ؛ ومن الناحية الأخرى مدلولاتها المعنوية التى لا حصر لها (وهى القائمة على تكثير المعانى المشتقة من معنى واحد) . واللغة من هاتين الناحيتين أقل امتثاعا على هوى الافراد وابتكاراتهم وتصرفاتهم ونزعاتهم . وإن لهجة كل شخص وذخره الوجدانى الخاص ليدخلان على تداول اللغة عنصر لبس ، ومظانوهم ، ومكامن بغتة ، كلها لامناص منها ولا معدى عنها . وارجو أن تلقوا بالكم جيداً الى هذين الأمرين : أولهما أن اللغة فيما عدا استعمالها فى أبسط لوازم العيش وأعمها ليست على الاطلاق اداة تحديد ، بل هى على النقيض من ذلك ، وثانيهما أنه فيما عدا بعض الاتفاقات التى لاتجى ، الا فى النادر جدا وفيما عدا بعض تعابير ميتة مفلحة أقترنت بقالب مفرغ محسوس ، فليس فى اللغة مايجعلها وسيلة للشعر

وجملة القول أن حظ الشاعر العاثر المتناقض قد فرض عليه أداة شائعة الاستعمال ممتهنة ليستخدمها فى أغراض غير اعتيادية وغير عملية . فلامندوحة له من استعارة هذه الوسائل وهى نكرات أغفال كأرقام التعداد ، ليؤدى بها مطلبه من سمو بالنفس وتعبير عن أخص مافيها وأزكاه ؟